المثاقفة في الادب الاندلسي (دراسة في ضوء الادب المقارن)

أ.م.د. اناهيد عبد الامير الركابي و أ.م.د. مرتضى كمال حريجة

ملخص البحث

لم يدخل العرب بلاد الاندلس لطمس ثقافتها وهويتها بل سعى لتنمية هذه الثقافة في علاقة تكاملية وتشاركية مع الاخر هذه العلاقة التي تمخض عنها مجموعة من المعارف والعلوم المختلفة وهنا يبرز دور الادب المقارن باعتباره حلقة من حلقات الوصل بين هذين الأدبين (العربي والأسباني) ليرصد لنا مظاهر التأثر والتأثير في مجال الأدب لأنه يصور لنا حياة الشعوب وواقعها المادي والشعوري إذ أن دراسة التأثير في الآداب يعد واحداً من ملامح المدرسة الفرنسية المقارنة حديثا وهو مجال متشابك مع حقول أخرى من التأثير وهذا يحتم علينا التفريق بين التأثير الأدبي وباقي أنواع التأثير وهو عمل لا يخلو من الصعوبة في مجال الأدب المقارن لأن امتداد الثقافات يعني امتزاجها مع بعضها مما يُصعب على الباحثين تتبع جذر عمل أدبي معين إضافة إلى أن اختلاف اللغات يزيد من صعوبة الدراسة و البحث في هكذا نوع من الدراسات المقارنة لأنها تعتمد بشكل أو بأخر على ثنائيي اللغة.

سنسعى في هذا البحث لتوضيح مدى تأثير الأدب الأندلسي على الأدب الإسباني حيث دامت الدولة العربية الأندلسية ثمانية قرون وهي مدة طويلة ترك فيها العرب إرثاً حضاريا عالميا سنبين تأثيره على الأدب الأسباني من خلال اللغة والشعر والنثر.

المقدمة :

إن العلاقة القائمة بين المشرق والمغرب هي علاقة قائمة بينهما منذ الأزل. وقد كانت بداية هذا الانفتاح بين الشرق والغرب واكتشاف الجانب الآخر عن طريق الرحلات التي تُعد النواة الأولى لذلك الاكتشاف وتوطيد العلاقة القائمة بين الحضارتين وحدوث التأثير والتأثر من خلال الاحتكاك المباشر أو غير المباشر وظهر هذا التأثير والتأثر واضحاً وجلياً في الدراسات الأدبية المقارنة بين الآداب الأوربية والآداب العربية مما أدى إلى الانفتاح والتلاقح العلمي والأدبي بين الثقافتين وهذا بدوره أدى إلى ظهور المثاقفة التي امتزجت فيها الثقافة العربية مع الأوربية والتي أدت بدورها إلى ظهور الأدب المقارن باعتباره حلقة من حلقات الوصل بين هاتين الثقافتين ولترصد مظاهر التأثير والتأثر في مجال الأدب لأنه يصور حياة الشعوب وواقعها إذ أن "مظاهر التأثير والتأثر سواء تعلقت بالأصول الفنية العامة للأجناس والمذاهب الأدبية أو التيارات الفكرية ، أو اتصلت بطبيعة الموضوعات والمواقف والأشخاص التي تعالج أو تحاكي في الأدب ..... بوصفها صلات فنية تربط مابين الشعوب والدول بروابط إنسانية تختلف باختلاف الصور والكتاب . ثم ما يمت إلى ذلك بصلة من عوامل التأثير في أدب الرحالة "(١)

التمهيد: الثقافة والمثاقفة في اللغة والاصطلاح

المثاقفة مصطلح قديم حديث وهو مستمد من مصطلح الثقافة الذي تميز باختلاف معنى جذره على مر العصور وسنتحدث إبتداءً عن الثقافة ليتسنى لنا فهم مصطلح المثاقفة.

فالثقافة في اللغة مأخوذة من الجذر (ث ق ف) ولهذا الجذر عدة معانٍ في معاجم اللغة العربية فقد جاء في لسان العرب إن معنى الثقافة هي الفهم والذكاء قال ابن منظور: (وهو غلام لَقَفٌ ثَقِفٌ أي ذو فطنة وذكاء والمراد به أنه ثابت المعرفة بما يحتاج إليه)(٢) وقال الزبيدي "وثاقفه مثاقفةً وثقافاً أي غالبه فغلبه في الحذق والفطنة وادراك الشيء وفعله"(٣)

وقال الفيروز آبادي: "ثقفهُ: أي صادفه أو أخذه أو ظفر به أو أدركه وبهذا المعنى جاء قوله تعالى "فإما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم"الأنفال:٥٧ والثاني ثَقِفَ يثقَفُ، وثَقُفَ يَثْقُف ثَقْفاً وثَقَفاً: صار حاذقاً خفيفاً فطناً ومنه : ثَقِفَ الكلام : حذقه وفهمه بسرعة وثقَّف الرمح: قوّمه وسوّاه وثَقّف الولد : هذبه وعَلّمَه"(٤)

"والثِّقاف حديدة تكون مع الأقواس والرماح يقوَّ م بها الشيء المعوّج "(٥)،

وفي عصر النهضة "اقتصر مفهوم (culture) على مدلوله الفني والأدبي الذي تمثل في دراسات تتناول التربية والابداع"(٦)

ومن خلال المعنى اللغوي لهذين المصطلحين نستنتج إن تعريف الثقافة في الإصطلاح: (هو مجموع التراث الفكري المنحدر إلينا من الحضارة العربية الإسلامية في القرون الوسطى، هذه الثقافة التي تسجل بدايتها ومنطلق تشكلها وليس هذا المنطلق ولا تلك البداية شيئاً آخر غير ما اصطلح على تسميته بعصر التدوين، عصر البناء الثقافي العام في التجربة الحضارية الإسلامية، العصر الذي يمتد زمنياً ما بين منتصف القرن الثاني ومنتصف القرن الثالث للهجرة) (٧).

وهذا يعني إن الثقافة تعني مجموع التراث الفكري لأية طبقة أو جماعة من البشر وهي "الشكل الحضاري المحدد لغوياً وتاريخياً وعقائدياً والذي يخص أمة معينة"(٨)

أما المثاقفة فمصطلح عربي (Acculturation) على وزن مفاعلة وهي صيغة تدل على المشاركة والمصاحبة في الصفة المشتركة بينهما كالثقافة والتبادل بين الثقافات الأخرى وهي مصطلح حديث مستمد من مصطلح الثقافة الذي تميز باختلاف معنى جذره على مر العصور (إذ تعود جذور كلمة "cultura" التي تعني حرث الأرض وزراعتها ولفظ "Colere" الذي يعني مجموعة من المعاني كالسكن والتهذيب والحماية والتقدير)(٩) وقد عرفت في العصر الحديث وهي تعني: (اقتباس جماعة من ثقافة واحدة أو فرد من ثقافة جماعة أخرى أو فرد آخر أو قيام فرد أو جماعة بمواءمة نفسه أو نفسها مع الأنماط الإجتماعية .... تساعد الترجمة والمثاقفة على معرفة الآخر)(١٠).

ويعني مصطلح المثاقفة عند العرب أيضاً المطارحة في العلم والأدب ومذاكرتهما وقد تطور معنى هذا المصطلح في العصر الحديث إلى معنى آخر وهو العلاقات الثقافية التبادلية مع الحضارات الأجنبية واكتساب ثقافة مغايرة للثقافة الأصلية للفرد أو الجماعة وهي تشير إلى الثقافة الأجنبية المختلفة عن الثقافة الأصلية التي يضيفها الفرد أو الجماعة للثقافة الأصلية ووفق الاصطلاح القديم فإن مصطلح المثاقفة يعني إن هناك طرفين يتبادلان المعرفة والثقافة فيما بينهما داخل حضارة واحدة وهي تعني: (تبادل ثقافي بين شعوب مختلفة وبخاصة تعديلات تطرأ على ثقافة بدائية نتيجة لاحتكاكها بمجتمع أكثر تقدماً أو تأقلم ثقافي يفضي إلى رفع مستوى فرد أو جماعة أو شعب)(١١)

وهي عبارة عن "تفاعل خياري طوعي لا ينم ولا يحمى ثماره إلا برغبة تبادلية بين المثاقفين ولا يمكن أن يتحقق ابداً في حالات الاختلاط القهري الناتج عن الحروب أو الاحتلال"(١٢)، وهكذا يتبين لنا إن المثاقفة بوصفها مصطلحاً حديثاً فأن معناه اللغوي يوحي بمعاني التلاقي والاحتكاك والتمازج والتفاعل والاتصال أما في المعنى الاصطلاحي فقد شكلت المثاقفة ظاهرة إيجابية عرفتها المجتمعات الإنسانية وهي الوسيلة الوحيدة للتقارب والتواصل وتبادل المعارف والخبرات وعامل مهم من عوامل تطور وازدهار الحضارة في أي بلد إذ إن هذا التثاقف نشأ من نقل كل ثقافة جزءً من سماتها وخصائصها الثقافية إلى الكيان الثقافي الآخر فتتم بينهما عملية أخذ وعطاء كوسيلة للمثاقفة التي تقوم على التبادل المعرفي والحضاري وهي من أقدم العوامل في التبادل الثقافي بين الشرق والغرب، حيث إنها نشأت بسبب الإختلاط والدمج بين بلدين أو حضارتين مختلفتين واستقت كل منهما الثقافة وامتزجا معاً.

الجانب التطبيقي

المبحث الأول: تأثير الشعر الأندلسي بشعر التروبادور

ظهرت جماعة التروبادور في القرن الحادي عشر في جنوب فرنسا ثم في ألمانيا، وكانت هذه الجماعات تتغنى بأوزان جديدة من الشعر أستمدوها من أوزان الموشحات والأزجال الأندلسية وقد تشابهت مع الموشحات في أغراضها الشعرية من غزل ووصف الطبيعة والمدح، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على تأثر هذه الجماعات بالموشحات وقد قدمت لنا الباحثة الكوبية (ماريا روزا) كتاباً عنوانه (الدور العربي في التأريخ الأوربي للقرون الوسطى-تأريخ منسي) عام ٢٠٠٩ بينت فيه أثر الثقافة العربية الأندلسية على الثقافة الغربية الحديثة في شتى المجالات الأدبية والاجتماعية والفكرية، والتي اثبتت فضل الثقافة العربية على الثقافة الأوربية وخاصة في مجال الأدب المقارن والتي تمثلت بشعر التروبادور وكوميديا دانتي حيث كانت صقلية والأندلس مناطق انتقال التأثير العربي إلى الأدب الأوربي، وللباحثة كتاب آخر (الأندلس العربية إسلام الحضارة وثقافة التسامح) والتي بينت

فيه أثر مبادئ الدين الإسلامي وتعاليمه مع أهل الديانات الأخرى في الأندلس والتسامح الذي كان بينهم.

وتأثر شعر التروبادور بدا واضحاً في تأثره بالشعر الأندلسي وخاصة الموشحات التي تحمل صفة الغنائية بشكل خاص حيث كان يؤدي شعر التروبادور مغني وموسيقي وشاعر بارع وهذا يعني وجود صفات مشتركة بينه وبين الموشحات إذ كلاهما يتناولان علاقة الحب بين الرجل والمرأة وما يرتبط به في المجتمع الأندلسي من أمور الغناء والخمر كما إن شعر التروبادور يتناول الأوزان القصيرة الخفيفة المرنة التي تواكب أجواء الموسيقى والغناء.

فمن الموضوعات المشتركة بين الشعر الأندلسي وشعر التروبادور موضوع الحبيبة المجهول أو ما يسمى بالحب المستحيل والحب البعيد وهو يتشابه كثيراً مع الحب العذري وهو يمثل المعادل الموضوعي أو المرأة الإنموذج التي يراها الشاعر قد وصلت إلى مستوى الكمال في الجمال وهو موضع عربي الأصل والروح أشار إليه ابن حزم في كتابه طوق الحمامة قبل أن ينتقل إلى أوربا"(١٣) وقد وظّفه شعراء التروبادور "في قصائدهم بإسم الحب المستحيل والحب البعيد والسيدة المجهولة"(١٤) ومن شعراء الأندلس الذين نظموا في هذا اللون من الغزل "سعيد ابن جودي"(١٥)

وتشير المصادر إنه دخل قرطبة واقترب من قصر الأمير محمد بن عبد الرحمن فسمع جارية تغني لابنه عبد الله اسمها جيجان كانت موصوفة بالحسن والجمال فهام بذكرها فسأل عن اسمها فقام واشترى جارية من قرطبة وسماها باسمها لكن ذلك لم يخفف من هموم حبه للجارية الأولى التي سمعها تغني فقال فيها شعراً جميلاً :

سمعي أبى أن تكون الروحُ في بدني
فاعتاضَ قلبي من لوعة الحزنِ
أعطيتُ جيجان روحي من تذكرها
هذا ولم أرها يوماً ولم ترنِ
فقل لجيجان يا سؤلي وَيَا أملي
استوصي خيراً بروحي زال عن بدنِ(١٦)

ومن شعراء التروبادور الذين تأثروا بهذا الموضوع الذي نظم فيه شعراء الأندلس وكتبوا على منواله الشاعر المشهور: جيوم التاسع ورامبو دو رانج وجوفري روديل وغيرهم ومن أمثلته قول جيوم التاسع:

عشقت إمراةً لا أعرفها
ولم أرها في حياتي أبدا
لا أحسنتْ لي ولا أساءتْ
وهذا لا يهمني ما دام
ليس في داري أجنبي
لا نورماني ولا فرنسي (١٧)

ومثله قول الشاعر جوفري روديل وكان قد هام حباً بكونتيسة طرابلس الشرق التي سمع عنها من الحجاج العائدين من المشرق فنظمَ شعراً فيها سماهُ الحب البعيد يقول فيه :

لا تلومني إذا عشقتُ
من لم ترني أبدا
فهي وحدها من يجعلني سعيداً
تلك التي لم أرَها أبدا (١٨)

وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على تأثر شعراء التروبادور بالشعر العربي المشرقي والمغربي وتناولهم الكثير من صور العرب في هذا المجال.

ولم يقتصر الأمر على غرض الغزل فقط وإنما نجد أن الطبيعة الساحرة قد ألهمت شاعر التروبادور أيضاً مثلما ألهمت الشاعر الأندلسي لذلك نجد الشاعر التروبادوري قد افتتح قصيدته بالتغني بجمال الطبيعة وسحرها مثل قول الشاعر آرنودانيال :

إني أسمعُ أصواتاً وصياحاً
وألحاناً وأغانيَ وأنغاما
من العصافير بمختلف اللهجات
كلٌ يخاطبُ حبيبتهُ مثلما
نفعلُ نَحْنُ مع مَنْ نحب (١٩)

وأثر شعر الموشحات الأندلسية واضحٌ على الشاعر التروبادوري الذي مزج غرض الغزل والحب مع شعر الطبيعة وهذا ما فعله الوشاح الأندلسي ابن مهلهل وهو يصف الطبيعة قائلاً :

النهر سَلَ حساما على قدود الغصون
وللنسيم مجال
والروضُ فيه اختيال
والزهرُ شقَّ كماما وجداً بتلكَ اللحون
أما ترى الطيرَ صاحا
والصبح والأفقُ لا حا (٢٠)

نجدُ أيضاً إن الشاعر التروبادوري قد نظم شعراً دينياً أيضاً والشعر الديني موضوع قديم جديد عرفته أوربا في القرون الوسطى على شكل مدائح نظمتها الكنيسة بإسلوب لا تيني مباشر دون مراعاة لوزن أو قافية لكنه عند الشاعر التروبادوري قد ارتبط بالحب والثورة على الكنيسة ورجالها فقد حذّرَ الشاعر جيوم التاسع المرأة من الوقوع في حب رجل دين قائلاً :

سترتكبُ خطيئةً كبيرة وقاتلة
من لا تحبُ فارساً مخلصاً
أما إذا عشقتْ راهباً
فخطؤها لن يُغْتَفَر أبداً

على نارٍ من جمرٍ حارٍ (٢١)

فرجال الدين في نظر جيوم يفتقدون الحب وهذا التهكم على رجال الدين ورثه شعراء التروبادور من شعراء الأندلس الذين كانوا على عداء واضح مع الفقهاء ومنهم زجّال الأندلس ابن قزمان صاحب الأزجال المعروف.

وكذلك نجد إن شاعر التروبادور يدعو ربه لكي يجمعه مم مَنْ يحب وأن يحشر الله الوشاة في جهنم فيقول برنارد ماتي:

هؤلاء الوشاة الطامعون بالمال
ذوو اللسان المسئ
يفكرون في القضاء على حبي
لكن اذا استجاب ربي لدعوتي
لن يدخل أحدٌ منهم الجنة (٢٢)

وقد ورد مثل هذا المعنى عند ابن زهر الحفيد في خرجة موشحته التي يدعو فيها ويبتهلُ إلى الله لرؤية حبيبته فيقول :

عقلٌ تحمّل إن ألمَّ بي الرّقيب
وإن المحب لمثلها لا يستريب
ذُكر الحبيبُ فقلتُ من هذا الحبيب
ياربّ ياربّ
هذا الحبيب اجمعني معو عاجلاً قريب(٢٣)

ومن الموضوعات الشعرية الأخرى التي أخذها شعراء التروبادور من شعراء الأندلس موضوع الشهادة والجهاد في سبيل الله من ذلك قول احدهم:

هكذا استشهد في سبيل المسيح
الفارس الذي شُنِق إلى شجرة الزيتون
سيغفر له الله ويقرّبهُ إليه
مع إخوانه الفرسان من اللذين ماتوا (٢٤)

وهذا الموضوع ثابت واصيل في ديننا الإسلامي الحنيف وأكثر شعراء الأندلس تناولوا هذا الموضوع يقول ابن الأبار:

دارُ الجهادِ فلا تفتكم ساحةٌ
ساوت بها أحياؤها شهداؤها(٢٥)

هذا غيضٌ من فيضٍ لأن الموضوع أوسع من ذلك بكثير.

المبحث الثاني: تأثير النثر الاندلسي في الآداب الأوربية

يُعدُ كتاب طوق الحمامة في الألفة والآلاف من الكتب الأندلسية المهمة التي تعالج موضوع الحب والألفة بين الرجل والمرأة من خلال الآراء والمرجعيات التي طرحها في كتابه هذا والذي عدّه كثير من النقاد مرجعية حقيقية في هذا الموضوع وقد تُرجم إلى لغاتٍ كثيرة وحُقِّق أكثر من مرة حتى أن شهرته وصلت إلى أوربا من خلال ترجمته إلى عدة لغات لطرافة الموضوع الذي يعالجه وقربه من الوجدان والنفس ولأنه يتناول موضوع الغزل العفيف ، كما أننا نجد إن هذا الكتاب محط الدراسة والتحليل منذ أن أُلِّفَ استجابة لطلب صديق يحمل له الفقيه في قلبه المودة وهو غنيٌ بما يحمله من قصص وأحاديث طريفة في الحب ومعانيه وحالاته وأسبابه وأعراضه وبما يتضمنه من أشعار ترافق كل معنى وتفسِّر كل حالة خاصة إذا ما علمنا إنه لم يُعرَف كتاب في أوربا تناول هكذا موضوع في الأدب الأوربي لا في زمن المؤلف (القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين ولا قبله) فجاء هذا الكتاب ليرفع من شأن ومكانة المرأة في الحب لم يكن للأدب الأوربي به عهدٌ حيث كانت المرأة عندهم مجرد وسيلة للإشباع الجنسي فقدّم لنا ابن حزم "خضوع الفارس لها كما يخضع للسيد صاحب الإقطاع فالفارس يضحي في سبيل حبها ويبكي في سر حين يهددهُ الخطر في حبه ويُعَدُ ضعفه أمامها نبلاً"(٢٦)

موضوع الكتاب كما قلنا في الحب العذري العفيف وتبدو عفة هذا الحب من عنوان الكتاب فالطوق هو علامة سيميائية ترمز للحب لأنه يطوِّق المرأة والرجل ويربطهما برباط المودة والرحمة كما يرمز للثبات والوفاء والالتزام ، والحمامة رمز المرأة التي تتسم بالوداعة والألفة والنواح الشجي الذي طالما ارتبط بطائر الحمام لذلك فإن " العنوان يُعَدُّ نقطة ارتكاز الرسالة بتداعياته عبر الفضاء النصي والقلب النابض المعبر عن الحب الذي ينتصر على الكراهية والجفاء "(٢٧)

يتألف الكتاب من عدة أبواب خصص منها ابن حزم ثلاثة أبواب (١٦،١٨،١٩) في طوق الحمامة للحديث عن العاذل والرقيب والواشي وهؤلاء هم أعداء المحبين وقد تأثر شعراء التروبادور بهذا تأثراً واضحاً فقد ذهب شاعرهم برنارد مارتي إلى أن الرقباء والعذال والوشاة يشبهون الكفار ولن يدخلوا الجنة وأكد هذه الحقيقة ابن قزمان " فقد كان يدعو على الرقيب أن يبتليه الله بالمصائب وأن يموت غير مسلم ليدخل النار"(٢٨) .

ولم يؤثر كتاب طوق الحمامة في شعر التروبادور فقط وإنما أثر على كتب الأدب الإسباني التي ذاع صيتها واشتهر مثل كتاب (الحب المحمود) للكاهن (بيرو دي) وهوعبارة عن قصيدة طويلة تضم ألفي بيت من الشعر ويدور موضوعها حول الحب وكان هكذا نوع من الشعر قد ظهر وازدهر في أوربا خلال القرنين الثالث

عشر والرابع عشر الميلاديين عندما ابتعد الشعراء عن الشعر الديني والقصائد الوعظية وابدعوا شعراً رقيقاً يدور حول الحب والخمر حيث بدا تأثير الأدب العربي عليه واضحاً " وكان راقياً ومرغوباً ومطلوباً سماعه ومعرفته مجدٌ يُزهى به "(٢٩) ، وقد أشار جارسيا جومس في ترجمته لمقدمة كتاب طوق الحمامة إلى اللغة الإسبانية إلى أوجه الشبه بين كتابي طوق الحمامة والحب المحمود.

ومن الأشكال النثرية الأخرى التي تُرجمت إلى اللغات الأوربية وأثرّت تأثيراً كبيراً في الأدب الأوربي قصة حي بن يقظان لابن طفيل وتُعدُ أوفر الكتب العربية حظاً من العناية والاهتمام ، إذ إن هناك تشابهاً واضحاً مع كتاب الأب اليسوعي بالتزار جرثيان المعنّوَن (elcriticor) والذي نشره عام ١٦٥٠.

وكذلك نجد هناك تشابهاً واضحاً بين حي بن يقظان وقصة روبنسون كروزو لمؤلفها دانيال دي فو التي نُشرت عام ١٧١٩ أي بعد ترجمة ادوارد بوكوك لقصة حي بن يقظان ويبدو التأثر بالفكرة واضحاً .

ومن الأجناس النثرية الأخرى التي تُرجمت إلى اللغات الأوربية رحلة ابن بطوطة الذي تأثر به ماركو بولو البندقي الذي قصد المشرق قبل ستين سنة من رحلة ابن بطوطة وسجّل مذكراته إلا أن رحلة ابن بطوطة وما دونه طلبته من معلومات حول رحلته تبين لنا إن رحلة ابن بطوطة أوسع وأعمق لأنه كان يتأقلم بسرعة مع كل بلدٍ يزوره حتى أنه كان يتعلم لغة القوم الذين ينزل بمدينتهم فتعلّم اللغة الفارسية والتركية " وفي سائر الحالات فإنه لم يكن يشعر بمركب نقص وهو يستعين بترجمان ينقل عنه ما يريد أن يقوله وساق في هذا الصدد بعض النكت التي وقعت له مع بعض الترجمة من الذين يدّعون أنهم يُحسنون اللغة "(٣٠)

وأول من لفت أنظار أوربا إلى حول رحلة ابن بطوطة المستشرق الألماني يوهان لود فيج بوركهارت الذي وصف ابن بطوطة بأنه " اعظم رحالة يقوم بتسجيل مذكراته في العصر الوسيط "(٣١).

وقد تُرجمت رحلة ابن بطوطة إلى العديد من اللغات مثل الفرنسية والألمانية والايطالية والإنجليزية والتركية والتشيكية والإسبانية والروسية والصينية والفارسية والهندية واليابانية وأكيد فإن من يُتَرجِمُ هذه الرحلة يُقَدَم للقارئ الأجنبي مقدمة يتحدث فيها عن الصورة الكاملة للعالم الإسلامي وتقاليده وتأريخ الدولة في ذلك العهد ."وفي عام ١٩٩١ قام الاستاذ توماس . ج.ايبروكرومبي برحلة فريدة من نوعها سار فيها على خطى ابن بطوطة بتكليف من المجلة الأمريكية الذائعة الصيت ناشيونال جيو غرافيك ووصلت تكاليف الرحلة إلى مئة الف دولار على الأقل "(٣٢). يقول عبد الهادي التازي " إنه لم يسمع في الدنيا عن رحلة نُقلت من لغتها الأصلية إلى لسانٍ ثانٍ ثم تُرجمت من ذلك اللسان لتعود إلى لغتها الأولى بصياغة حديثة فقد تحقق ذلك مع رحلة ابن بطوطة التي ترجمها غيرمو غوستا فينو عن الإسبانية بإسلوبه العربي"(٣٣). وقد قلّد أدباء أوربا رحلة ابن بطوطة ومنهم جون بنيان في الأدب الإنكليزي وغوتة في الأدب الألماني وميغال دي سرفانتس في الأدب الإسباني .

ومن مظاهر تأثر الكتاب الأسبان بالعرب وعاداتهم وتقاليدهم ومؤلفاتهم رواية الدون كيشوت أو الدون كيخوت لمؤلفها ميجل دي ثريانتس إذ تُعد هذه الرواية من روائع الأدب العالمي حيث يظهر فيها بطل الرواية وهو شخصية غريبة الأطوار والتصرفات كأنه لا ينتمي إلى العالم المعاش " إلا أن هناك من يرى ان دون كيشوت البطل الذي يمثل روح الإنسان أما رفيقه سانشو فيمثل بدنه"(٣٤) .

وتصور لنا هذه الرواية بطلها وهو إنسان متهور غير مسؤول خرج مدججاً بسلاحه من أجل تحسين صورة عالمه الذي يعيشه فانطلق من مبدأ الفروسية والسلاح رغبة منه في الدفاع عن محبوبته أو يخرج باحثاً عنها وهو يصارع أحداثاً كثيرة في الرواية يقرر هذا البطل ان يكون من الفرسان متخفياً بذلك عالم المألوف لأن العصر الذي يعيش فيه لم يعد عصر فرسان وهنا سؤال يطرح نفسه، هل تأثرت رواية الدون كيخوت بالآداب العربية، وخاصة الأندلسية؟ للجواب عن هذا السؤال يقول الدكتور محمود مكي" إن الفن القصصي الإسباني والأوربي يدين للقصص العربي في نشأته ونضوجه ،وإن من أهم التيارات التي أسهمت في الارتقاء في الرواية الإسبانية يتمثل في قصص الفروسية التي كانت شائعة في الأندلس بحكم الصراع الطويل على أرض هذه البلاد ... حتى أصبحت غذاء الشعب الثقافي خلال القرن السادس عشر ، وأدى هذا إلى ضيق المثقفين بها، وتركز رد الفعل ضدها في رواية سيرفانتس الخالدة دون كيخوت التي كان محورها الرئيسي التهكم اللاذع بكتب الفروسية وما فيها من خوارق"(٣٥). وهناك من يرى أن الدون كيخوت بداية ظهور الرواية وهي سليلة

قصص الشطار والقصص البطولي المتأثر بمجموعة من نماذج القصص العربي " فكانت مغامرات هذا الفارس متوهمة تثير السخرية حيناً والتعاطف مع قيم الماضي حيناً آخر وهذا ينسجم وطبيعة الحقبة التي عاشها سرفانتس الذي اتصف باخلاق عصر الفرسان "(٣٦). وأخيراً نستطيع القول إن الوجود العربي في إسبانيا قرابة ثمانية قرون متتالية كفيل بوجود هذا التأثير والتأثر الذي بدا واضحاً في النماذج التي عرضناها

النتائج التي توصل إليها البحث:

١- كان للرحلة من المشرق إلى المغرب وبالعكس والأحتلال والاستعمار وظهور حركة الترجمة والأدب المقارن والمثاقفة أبلغ الأثر في ازدهار موضوع التأثير والتأثر بين ثقافتين مختلفتين لإقليمين متباعدين مما أدى إلى انتشار ما يسمى بعالمية الأدب

٢- تعبر المثاقفة عن عمليات التغير الحاصلة بين ثقافتين مختلفتين حين يدخل مجموعة من الافراد الذين ينتمون الى ثقافتين مختلفتين او اكثر في عملية اتصال وتفاعل وينتجوا عنهما حدوث تغييرات في الأنماط الثقافية الاصلية.

٣- الثقافة ظاهرة إجابيه عرفتها المجتمعات البشرية عبر تاريخها الطويل وظلت ابلغ وسيلة للتقارب والتواصل وتبادل المعرفة والخبرة.

٤- لكي تكون المثاقفة فاعلة مع الاخر يجب ان تتعرف الذات على الاخر وهنا يأتي دور الترجمة كعامل مساعد في معرفة هذا الاخر عن طريق نقل فكره وثقافته الينا باعتبارها حلقة الوصل التي من خلالها تنتقل ثقافات الأمم فيما بينها.

٥- كان للآداب العربية تأثير كبير على الآداب الأوربية إذ أصبح الأدب العربي مادة للتلاقح الثقافي والفكري والفني والأدبي بين شعوب العالم بمختلف أجناسها.

٦- تأثر شعراء التروبادور بالموشحات الأندلسية شكلاً ومضموناً .

٧- العلاقات التناصية بين أدبين مختلفين تكشف لنا أن مفهوم الفن ليس للمجتمع بل للإنسان .

الهوامش والاحالات:

١. دور الأدب المقارن في توجيه دراسات الأدب العربي المعاصر ، محمد غنيمي هلال ، القاهرة ، مصر للطباعة والنشر،ص١٦ .

٢. لسان العرب، مادة ثقف، ابن منظور ، دار المعارف ، كورنيش النيل، القاهرة .

٣. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد المرتضى الزبيدي، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٦٥.

٤. القاموس المحيط ، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، تحقيق :محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٥، ط٨

٥. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، اسماعيل الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور ، مج ٤، دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠، ص١٣٣٤

٦. الحضارة – الثقافة- المدينة – دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم ، نصر محمد عارف ، المعهد العالي للفكر الاسلامي، ط٢ ، ١٩٤٤،ص١٩

٧. التراث والحداثة(دراسات ومناقشات) ، محمد عابد الجابري ، ط١، بيروت، المركز الثقافي العربي، ١٩٩١، ص١٤٢.

٨. تحولات الثقافة العربية،محمد الجبر،ط١، دار التكوين للنشر، ٢٠١٠،ص٨.

٩. الكلمات المفاتيح ، ريموند وليامز، ترجمة : نعيمان عثمان، المركز الثقافي العربي ، ط١، ٢٠٠٧، ص٩٤.

١٠. صدام الحضارات اعادة النظام العالمي، صامويل هانتنجون وطلعت الشايب ، تقديم صلاح قنصوه ،أمريكا، ١٩٩٩،ص٣١٩.

١١. المثاقفة والنقد المقارن ، عز الدين المناصرة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٦،ص٧٤.

١٢. أسئلة الهويات والمثاقفة في عصر العولمة ، محمد سليمان، معهد ابراهيم للدراسات الإعلامية والثقافية، رام الله، فلسطين ، ط١، ٢٠٠٨، ص٣٨

١٣. دور العرب في تطور الشعر الأوربي ، عبد الواحد لؤلؤة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١، ٢٠١٠، ص٥.

١٤. الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور ، محمد عباسة، دار أم الكتاب للنشر، مستغانم ، ط١، ٢٠١٢، ص٢٩١.

١٥. شاعر فارس بطل اجتمعت فيه صفات تفرّد بها في زمانه وهي : الجود والشجاعة والفروسية والجمال والشعر والخطابة والشدة والحرب والرماية ....تولى إمارة البيرة بعد الأمير سوار ولقب بأمير العرب ثم قُتِل غيلة وغدراً بتدبير من أصحابه . ينظر الحلة السيراء، ابن الأبار، ج١، ١٩٦٣، ص١٥٥

١٦. المصدر نفسه ،ص ١٥٧

١٧. الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور،ص٢٨٧.

١٨. المصدر نفسه، ص٢٨٩.

١٩. المصدر نفسه ، ص٣٠٢

٢٠. الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه ، مصطفى الشكعة ، دار العلم للملايين ، بيروت، ١٩٨٣، ط٥، ص٣٧٥

٢١. الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور، ص ٣١٩.

٢٢. المصدر نفسه ، ص ٣٢١

٢٣. جيش التوشيح، لسان الدين بن الخطيب ، تحقيق هلال ناجي ، مطبعة المنار، تونس، ١٩٦٧، ص١٩٩.

٢٤. الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور ، ص ٣٢٨

٢٥. ديوان ابن الأبار ، ابو عبد الله القضاعي ، تحقيق : عبد السلام الهراس، الدار التونسية ، تونس ،١٩٨٥، ص٣٤.

٢٦. الأدب المقارن، محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر، القاهرة، ط٣، ١٩٥٦، ص٢٠٥

٢٧. ديوان ابن قزمان، تحقيق: فكورينطي،ط١، المعهد الإسباني العربي، مدريد، ١٩٨٠، ص٦٠.

٢٨. ابن حزم وكتابه طوق الحمامة ، الطاهر أحمد مكي، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٧٧،ص٣٤٢.

٢٩. تحقيق رحلة ابن بطوطة ، عبد الهادي التازي، أكاديمية المملكة المغربية ، الرباط، ص٩١.

٣٠. المصدر نفسه والصفحة

٣١. المصدر نفسه والصفحة

٣٢. الرحالة الكدود ابن بطوطة ، غيرمو، دار النشر المغربية ، تطوان، ١٩٥٠،ص١٥٣.

٣٣. هو اسم مؤلف هذه الرواية ولد في قلعة هنارس وكان أبوه جراحاً سافر إلى إيطاليا اشتهر جندياً متميزاً أسر من قبل السفن التركية وقضى في الجزائر سجيناً خمس سنوات . ينظر: رواية دون كيخوته ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، دار المدى ، ط١ ، ١٩٨٨ ،ص٢.

٣٤. المصدر نفسه ، ص٥.

٣٥. تطور الرواية العربية الحديثة في بلاد الشام ،ابراهيم السعافين، ١٩٨٧ ،ط٢ ،ص١٧.

الدوريات

١. قراءة سيميائية في طوق الحمامة لابن حزم الظاهري، مجلة جذور، العدد١٢، ٢٠٠٣، ص٥٣٩.

المصادر:

القران الكريم

١. ابن حزم وكتابه طوق الحمامة ، الطاهر أحمد مكي، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٧٧.

٢. الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، مصطفى الشكعة ، دار العلم للملايين ، بيروت، ١٩٨٣ ، ط٥.

٣. الأدب المقارن، محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر، القاهرة، ط٣، ١٩٥٦.

٤. أسئلة الهويات والمثاقفة في عصر العولمة ، محمد سليمان، معهد ابراهيم للدراسات الإعلامية والثقافية، رام الله، فلسطين ، ط١، ٢٠٠٨.

٥. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد المرتضى الزبيدي، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٦٥.

٦. تحقيق رحلة ابن بطوطة ، عبد الهادي التازي، أكاديمية المملكة المغربية ، الرباط.

٧. تحولات الثقافة العربية،محمد الجبر،ط١، دار التكوين للنشر، ٢٠١٠.

٨. التراث والحداثة(دراسات ومناقشات) ، محمد عابد الجابري ، ط١، بيروت، المركز الثقافي العربي، ١٩٩١.

٩. تطور الرواية العربية الحديثة في بلاد الشام ،ابراهيم السعافين، ١٩٨٧ ،ط٢.

١٠. جيش التوشيح، لسان الدين بن الخطيب ، تحقيق هلال ناجي ، مطبعة المنار، تونس، ١٩٦٧.

١١. الحضارة – الثقافة– المدينة – دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم ، نصر محمد عارف ، المعهد العالي للفكر الاسلامي، ط٢ ، ١٩٤٤.

١٢. الحلة السيراء، ابن الأبار، ج١، ١٩٦٣.

١٣. دور الأدب المقارن في توجيه دراسات الأدب العربي المعاصر ، محمد غنيمي هلال ، القاهرة ، مصر للطباعة والنشر.

١٤. دور العرب في تطور الشعر الأوربي ، عبد الواحد لؤلؤة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١، ٢٠١٥.

١٥. ديوان ابن الأبار ، ابو عبد الله القضاعي ، تحقيق : عبد السلام الهراس، الدار التونسية ، تونس ،١٩٨٥.

١٦. ديوان ابن قزمان، تحقيق: فكورينطي،ط١، المعهد الإسباني العربي، مدريد،١٩٨٠.

١٧. الرحالة الكدود ابن بطوطة ، غيرمو، دار النشر المغربية ، تطوان، ١٩٥٠.

١٨. رواية دون كيخوته ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، دار المدى ، ط١، ١٩٨٨.

١٩. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، اسماعيل الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور ، مج ٤، دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠.

٢٠. صدام الحضارات اعادة النظام العالمي، صامويل هانتنجون وطلعت الشايب ، تقديم صلاح قنصوه ،أمريكا، ١٩٩٩.

٢١. القاموس المحيط ، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، تحقيق :محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٥، ط٨.

٢٢. قراءة سيميائية في طوق الحمامة لابن حزم الظاهري، مجلة جذور، العدد١٢، ٢٠٠٣.

٢٣. الكلمات المفاتيح ، ريموند وليامز، ترجمة : نعيمان عثمان، المركز الثقافي العربي ، ط١، ٢٠٠٧.

٢٤. لسان العرب، مادة ثقف، ابن منظور ، دار المعارف ، كورنيش النيل، القاهرة .

٢٥. المثاقفة والنقد المقارن ، عز الدين المناصرة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٦

٢٦. الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور ، محمد عباسة، دار أم الكتاب للنشر، مستغانم ، ط١، ٢٠١٢.